المختصر في كتاب الاسبوع رقم 208

واقع التجربة السيكولوجية في الوطن العربي

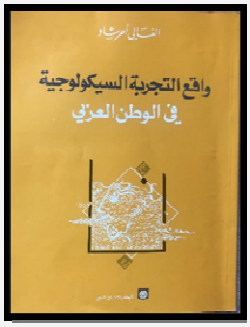

تأليف: الغالي أحرشاو

عرض: أ.د. معن عبدالباري قاسم صالح

أستاذ علم النفس السريري(العيادي) المشارك

قسم الطب النفسي كلية الطب جامعة الامام عبدالرحمن بن فيصل(الدمام سابقا)

Maanslaeh62@yahoo.com

الكتاب خير جليس ، ومتابعة الجديد في حقل الاختصاص هو محور الاهتمام وتأكيد للتحديث المعلوماتي وتواصل حلقات المعرفة بين الماضي والحاضر . سوف نحرص لتكون لنا وقفة مع واحدة من الكتب المرجعية السيكولوجية(النفسية)في موضوعاتها لمؤلفين عرب وبعرض وجيز بقصد تسليط الضوء على الارث السيكولوجي العربي الحديث ومساهمة علماء النفس والطب النفسي العرب المعاصرين في إغناء المكتبة النفسية...

هذا الكتاب من تأليف الاستاذ الدكتور الغالي أحرشاو، عمل كأستاذ في جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، حيث ساهم في تكوين وتأطير العديد من الكفاءات في مجال علم النفس. كما شارك في العديد من مشاريع البحث والشراكة، وقدم أوراقًا علمية في مؤتمرات وطنية ودولية. حصل على وسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة تقديرًا لإسهاماته في التدريس الجامعي والبحث العلمي.(نال جائزة المغرب للكتاب للعام 2023 في صنف العلوم الانسانية). لعب دورًا كبيرًا في تطوير علم النفس المعرفي في المغرب، وساهم في نشر المعرفة السيكولوجية وتطبيقها في مجالات مختلفة مثل التربية والتعليم، نشر أكثر من 35 كتابًا، منها 17 كتابًا فرديًا و18 كتابًا جماعيًا، بالإضافة إلى أكثر من 83 بحثًا ومقالة منشورة.

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام 1994 عن المركز الثقافي العربي – بيروت، وهو مكون من 125 صفحة ومقسم الى اربعة فصول على النحو التالي:

مقدمة

الفصل الأول: الخصائص المعرفية والأبعاد التطبيقية للمحاولات السيكولوجية العربية

الفصل الثاني: دلالة الأساليب القياسية في المحاولات السيكولوجية العربية

الفصل الثالث: المنظور السيكولوجي لأزمة الشباب في الوطن العربي

الفصل الرابع: سيكولوجية جنوح الأحداث والمشروع السيكولوجي العربي

الخصائص المعرفية والأبعاد التطبيقية للمحاولات السيكولوجية العربية

هذا الكتاب من تأليف الاستاذ الدكتور الغالي أحرشاو، عمل كأستاذ في جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، حيث ساهم في تكوين وتأطير العديد من الكفاءات في مجال علم النفس. كما شارك في العديد من مشاريع البحث والشراكة، وقدم أوراقًا علمية في مؤتمرات وطنية ودولية

حصل على وسام الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة تقديرًا لإسهاماته في التدريس الجامعي والبحث العلمي.(نال جائزة المغرب للكتاب للعام 2023 في صنف العلوم الانسانية)

نشر أكثر من 35 كتابًا، منها 17 كتابًا فرديًا و18 كتابًا جماعيًا، بالإضافة إلى أكثر من

مقدمة المؤلف

اذا كان التساؤل حول مقومات وخصائص التجربة السيكولوجية في الوطن العربي، يمثل الإشكالية المركزية لموضوع هذا الكتاب، فأن نهج أسلوب المقاربة التقييمية يشكل في تقديرنا الخاص المنظور

83 بحثًا ومقالة منشورة.

اذا كان التساؤل حول مقومات وخصائص التجربة السيكولوجية في الوطن العربي، يمثل الإشكالية المركزية لموضوع هذا الكتاب، فأن نهج أسلوب المقاربة التقييمية يشكل في تقديرنا الخاص المنظور الملائم الذي سيمكننا من الوقوف على أهم القضايا والوقائع التي يحمل عليها هذا التساؤل الضخم

الملائم الذي سيمكننا من الوقوف على أهم القضايا والوقائع التي يحمل عليها هذا التساؤل الضخم. وهي مقاربة من الداخل، تسلحها دوافع وتحرضها حوافز كلها تطلع وآمال في البناء والتأسيس، قوامها النظر من جهة في عوامل محدودية هذه التجربة والبت من جهة أخرى في بواعث هذا الضياع الذي يخيم على توجهاتها العامة. نقول بالمحدودية والضياع لأننا ندرك جيداً ان هذه التجربة، ورغم أهمية بعض تراكماتها الكمية وجدية بعض محاولاتها الفردية، ما تزال سجينة عدد من المعوقات التي تزج بها في متاهات تتراوح بين مشاكل التاريخ وعوائق التأسيس وصعوبات التطبيق. انها ما تزال تشكو من فجوة متعددة الصور والمظاهر بين الموضوع والمنهج وبين النظرية والتطبيق وبين الإنتاج والاستهلاك. وهي فجوة عميقة تخترقها عمودياً وافقياً، الى الحد الذي يستحيل معه القول بقرب انفجار ثورة سيكولوجية عربية او المراهنة على وضع تصور شمولي لممارسة سيكولوجية هادفة، ومن ابرز مقومتها وخصائصها خدمة المجتمع وترشيد الانسان ثم مساهمة في المسيرة السيكولوجية العالمية بالاعتماد على هذه المقاربة ذات الطابع التقييمي، سنحاول اذاً الإجابة على أسئلة من قبيل:

ما هي الخصائص المعرفية والابعاد التطبيقية هذه التجربة؟

ما هي مظاهر اصلتها الإبداعية وضمانات فاعليتها الإنتاجية؟

ان هذه التجربة، ورغم أهمية بعض تراكماتها الكمية وجدية بعض محاولاتها الفردية، ما تزال سجينة عدد من المعوقات التي تزج بها في متاهات تتراوح بين مشاكل التاريخ وعوائق التأسيس وصعوبات التطبيق

والى أي حد يسمح النمط الثقافي السائد عندنا بقيام المعرفة السيكولوجية المطابقة والأدوات المعرفية على انتاجها؟، وذلك من خلال الاستنطاق الموضوعي لمجموعة من القضايا و الوقائع التي وان كانت لا تقبل الفصل، لكونها تنصهر كلها داخل النسق العام الذي تتحرك فيه التجربة السيكولوجية العربية، فقد ارتأينا ولضرورة منهجية صرفة التطرق اليها منفصلة، وبالتالي توزيعها على اربع فصول رئيسية/ خصصنا أولها لمسألة الخصائص المعرفية والابعاد التطبيقية للمحاولات السيكولوجية العربية، وافردنا ثانيها لإشكالية دلالة الأساليب القياسية في المحاولات السيكولوجية العربية، ثم ركزنا في ثالثها على المنظور السيكولوجي لازمة الشباب العربي، في حين ان رابعها قد تناولنا فيه بالحديث سيكولوجية جنوح الاحداث والمشروع السيكولوجي العربي.

الى أي حد يسمح النمط الثقافي السائد عندنا بقيام المعرفة السيكولوجية المطابقة والأدوات المعرفية على انتاجها؟،

والله الموفق

فاس 1993/7/30

نكتفي هنا بهذه الإقتباسات المختصرة التي نامل ان تفتح شهية القراء للبحث والاطلاع عن الكتاب الممتع والغني بخبرة الممارسة االمهنية من منظور علم النفس في قراءة وتحليل موضوعي عميق لاشكالية التجربة السيكولوجية العربية ومالها وما عليها بالاضافة الى الجهد والمثابرة الفردية للمؤلف في تأصيل الممارسة والخبرة السيكولوجية ببعدها التشخيصي للمقاييس النفسية في الواقع العربي عموما والمغاربي تحديدا.

إن أصالة أي مشروع سيكولوجي تكمن أساسا في أصالة أسسه النظرية وفعالية أبعاده التطبيقية، وهذه مسألة يوضحها تاريخ السيكولوجيات الغربية، بدءاً بالسيكولوجيا البريطانية ذات الطابع الأمبريقي وانتهاء بالسيكولوجيا السوفياتية ذات الطابع الجدلي

الخصائص المعرفية والأبعاد التطبيقية للمحاولات السيكولوجية العربية

يتلخص الهدف الرئيسي لهذا الفصل في مقاربة عدد من القضايا والوقائع ذات العلاقة الوثيقة بوضعية البحث السيكولوجي في الوطن العربي. وهو هدف يرتكز على واقعة مفادها أن مجالات الحديث عن بناء سيكولوجيا متميزة على المستوى المحلي، قد عرفت على امتداد العقدين الأخيرين نشاطاً مكثفاً. ولإبراز مدى مصداقية هذه الواقعة، أو على الأحرى مدى مشروعية هذه الدعوة، نرى ضرورة التساؤل عن المضامين المعرفية والتوجهات التطبيقية لمجالات هذا الحديث. ص 7

ذهب فاخر عاقل في التقرير الذي قدمه الى هيئة الدراسات العربية عن وضعية علم النفس في سوريا إلى القول:

1- الخصائص المعرفية :

1:1 مسألة التأريخ ومشكلة الهوية

إن أصالة أي مشروع سيكولوجي تكمن أساسا في أصالة أسسه النظرية وفعالية أبعاده التطبيقية، وهذه

مسألة يوضحها تاريخ السيكولوجيات الغربية، بدءاً بالسيكولوجيا البريطانية ذات الطابع الأمبريقي وانتهاء بالسيكولوجيا السوفياتية ذات الطابع الجدلي. ص8

2:1: مسألة التأسيس ومحدودية الابتكار:

نفصل التمهيد لمناقشة أبعاد هذه المسألة بالأراء التالية: ذهب فاخر عاقل في التقرير الذي قدمه الى هيئة الدراسات العربية عن وضعية علم النفس في سوريا إلى القول: " لا يحتاج الناضر في نتاجنا السيكولوجي إلى الجهد عظيم او ذكاء شديد ليلاحظ أن عمل الأخصائيين بعلم النفس في الوطن العربي لا ينظمه ناظم ولا يجمعه جامع ولا يوجهه موجه. فلا جمعية ولا منظمة ولا مؤسسة تهتم بعلم النفس وتجمع المشتغلين به وتنسق جهودهم وتوجه عملهم.

- وكتب علي الزيعور، أحد المتحمسين الحاليين لبناء مدرسة عربية في علم النفس مؤكداً " أن أغلب الدراسات العربية في علم النفس ذات طابع نظري. انها تجري عادة داخل غرفة لا في ميدان. ليست حقلية في معظمها ولا خاضعة لاستمارات واستبينات.

- وفي نفس السياق ينص مصطفى حجازي على أنه " إذا كان المجتمع العربي، قد حظي بالعديد من الأبحاث والدراسات القيمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فإنه محروم إلى الآن من دراسات نفسية خاصة به تعكس واقع إنسانه الحي".

- لكن السؤال الذي طرح هنا هو: لماذا بعد مضي ثلث قرن من العمل السيكولوجي ما يزال مشروعنا السيكولوجي في عزلة شبه تامة عن المحيط الطبيعي للإنسان وعن واقعة الاجتماعي والثقافي؟ ص12

- إن مرد هذا الفشل يكمن في تقدرينا الشخصي في كون أن الضوابط التي توجه تفكيرنا السيكولوجي، هي ضوابط غريبة منبثقة من تبعيتنا واستهلاكنا لنظريات واتجاهات السيكولوجيا الغربية التي لا تعرف أدنى شيء عن الإنسان العربي وعن نشاطه النفسي وتكوينه المعرفي. ص12

- أن المجال الذي تتحرك في تجربتنا السيكولوجية لا يتعدى الحدود النظرية التي رسمت معالمها أعمال بعض أقطاب السيكولوجيا الغربية، وفي مقدمتهم: بافلوف، واطسن، فرويد وبياجيه. أما مساهمات الجدية ذات العلاقة الوثيقة بواقع الإنسان العربي، فما تزال في بداياتها الأولى المفعمة بقصورات شتى أهمها الافتقار إلى عنصري الخلق والإبداع ص12

3:1 مسألة العوائق ومشكلة التطبيق:

ما دام عنصري الاستهلاك والاقتداء بكل ماهو غربي، يشكلان السمات البارزة للمشروع السيكولوجي العربي، فإنه يصعب الوثوق في ما يقدمه هذا المشروع من تفسيرات وخلاصات باسم خدمة الواقع العربي والذات العربية والتنمية العربية. ص13

- وبما أن هذا المشروع لم يجد بعد طريقه إلى خلق ضوابط نظرية و أدوات منهجية مستقاة من الواقع بكل تناقضه وتناغمه، بكل تبايناته وتلوناته، فمن العبث ترشيحه للإسهام حالياً في أي برنامج تنموي كيفما كان نوعه، نظراً لما يعتريه من مظاهر التبعية والاستهلاك لما هو غربي ولما يكتفنه من عوائق معرفية تحد من حركيته وفاعليته. ص 13

- لأدركنا أن سبب ذلك يرجع إلى عدة عوامل أهمها:

أ- عدم ربط البحث السيكولوجي بوقع الإنسان العربي ومحيطه الطبيعي والحضاري. 14

ب- إخفاق الفئة المهتمة بالعمل السيكولوجي في الوطن العربي في خلق وتأسيس تقاليد ثابتة لبرنامج سيكولوجي يتساوق وخصوصيات الواقع العربي. ص14

ج- فشل تجربتنا السيكولوجية في التخلص من معوقات تقدمها، نظراً إلى غياب نظرية فعلية عن خصائص الإنسان العربي ومقوماته الأساسية. ص14

د- إن الإطار الأكاديمي عندنا لا يسمح بالتخصص الحقيقي في نطاق العلوم الإنسانية عامة

" لا يحتاج الناضر في نتاجنا السيكولوجي إلى الجهد عظيم او ذكاء شديد ليلاحظ أن عمل الأخصائيين بعلم النفس في الوطن العربي لا ينظمه ناظم ولا يجمعه جامع ولا يوجهه موجه. فلا جمعية ولا منظمة ولا مؤسسة تهتم بعلم النفس وتجمع المشتغلين به وتنسق جهودهم وتوجه عملهم.

كتب علي الزيعور، أحد المتحمسين الحاليين لبناء مدرسة عربية في علم النفس مؤكداً " أن أغلب الدراسات العربية في علم النفس ذات طابع نظري. انها تجري عادة داخل غرفة لا في ميدان. ليست حقلية في معظمها ولا خاضعة لاستمارات واستبينات

ينص مصطفى حجازي على أنه " إذا كان المجتمع العربي، قد حظي بالعديد من الأبحاث والدراسات القيمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فإنه محروم إلى الآن من دراسات نفسية خاصة به تعكس واقع إنسانه الحي".

لماذا بعد مضي ثلث قرن من العمل السيكولوجي ما يزال مشروعنا السيكولوجي في عزلة شبه تامة عن المحيط الطبيعي للإنسان وعن واقعة الاجتماعي والثقافي؟

أن الضوابط التي توجه تفكيرنا السيكولوجي، هي ضوابط غريبة منبثقة من تبعيتنا واستهلاكنا لنظريات واتجاهات السيكولوجيا الغربية التي لا تعرف أدنى شيء عن الإنسان العربي وعن نشاطه النفسي

والسيكولوجية خاصة. ص15

2- الأبعاد التطبيقية:

بالتأكيد إن المكانة المتميزة التي تشغلها السيكولوجيا الحديثة داخل القطاعات التنموية المختلفة، وفي مقدمتها قطاعات التعليم والشغل والصحة، ليست وليدة الصدفة، بل هي نتيجة طبيعية لعدة شروط موضوعية أهمها: الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية الملائمة والتوجهات الثقافية والتربوية المناسبة. ص 15

1.2 الواقعة الأولى:

رغم أن الأصول الحضارية والثقافية للمعارف السيكولوجية ضاربة بجذورها في تاريخنا البعيد وفي تراثنا الفلسفي، حيث توجد تلك السلسلة من المباحث التي صاغها أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وفخر الدين الرازي حول النفس البشرية، ورغم أن فترة الخمسينات من القرن العشرين تشكل الانطلاقة الأولية للتجربة السيكولوجية في الوطن العربي، بدءاً بمصر وسوريا والعراق ولبنان مروراً بدول المغرب العربي ثم انتهاء بدول الخليج العربي، رغم كل ذلك فإن ما يسمى بالمحاولات السيكولوجية العربية ما تزال تتخبط في متاهات تتوزع بين مشاكل التأريخ وعوائق التأسيس وصعوبات التطبيق. ص17

2:2 الواقعة الثانية:

ليس من باب المبالغة إذا قلنا إن مظاهر استهلاك النماذج السيكولوجية الغربية ومحاكاة مضامينها تشكل السمات الغالبة على المحاولات السيكولوجية العربية التي يصعب الوثوق في ما تقدمه من حلول باسم خدمة الإنسان العربي، ومشاريع التنمية العربية. ص18

3:2 الواقعة الثالثة:

لا جدال في أن التطور الذي تعرفة السيكولوجيا الغربية، يشكل استجابة طبيعية لازدهار شروط انتاجها. واذا كان الاختيار الثقافي يأتي في مقدمة هذه الشروط فإن التساؤل عن إلى أي حد أفلح المشروع الثقافي العربي في توفير هذا الشرط الأساسي يعد تساؤلاً مشروعاً. ص 19

4:2 الواقعة الرابعة:

الواقع أن الازمة التي تتخبط فيها محاولاتنا السيكولوجية هي أزمة بداية أو انطلاق وليست أزمة نمو أو يماثل ذلك. ص19

- أن شروط الإبداع والإنتاج في نطاق هذا الفرع العلمي ما تزال مغيبة عندنا. فالبحث السيكولوجي كما يتداول في كلياتنا ومعاهدنا ومراكز بحوثنا، لا يتجاوز حدود بعض المبادرات الفردية الضيقة التي لا علاقة لها بالتطبيق المباشر على واقعنا المحلي، لأن ذلك لو تم سيمس بالتأكيد ظواهرنا النفسية- الاجتماعية التي يستحسن تقديسها والإبقاء عليها كما هي، وكأنها ظواهر مستعصية عن المعرفة السيكولوجية. ص21

21- إذن، في إطار هذا الوقائع/ العوائق، يمكن القول إن المحاولات السيكولوجية العربية ما تزال تشكو من عقم تسخير نتائجها لخدمة مشاريع التنمية العربية. ص22

**لا يسعنا في هذه القراءة الاستعراضية المختصرة جدا (ليس بغرض التناول والعرض التعريفي لها هنا ولكن من باب لفت النظر للمرجعية المكتبية لتواجدها بين الرفوف المهجورة والمتقادمة) الا ان نلفت عناية القراء الى اننا أحببنا في هذا الزمن العربي المثقل بجراح التدخلات والمؤامرات حد التشوش من واقع الصدمات والانهيارات والتفكك للهوية القومية جراء تغول العولمة وتسارع متغيراتها المفترسة لمنظومة القيم والثقافة وتكوينه المعرفي

أن المجال الذي تتحرك في تجربتنا السيكولوجية لا يتعدى الحدود النظرية التي رسمت معالمها أعمال بعض أقطاب السيكولوجيا الغربية، وفي مقدمتهم: باڤلوف، واطسن، فرويد وبياجيه

ما دام عنصري الاستهلاك والاقتداء بكل ماهو غربي، يشكلان السمات البارزة للمشروع السيكولوجي العربي، فإنه يصعب الوثوق في ما يقدمه هذا المشروع من تفسيرات وحلولات باسم خدمة الواقع العربي والذات العربية والتنمية العربية

إن المكانة المتميزة التي تشغلها السيكولوجيا الحديثة داخل القطاعات التنموية المختلفة، وفي مقدمتها قطاعات التعليم والشغل والصحة، ليست وليدة الصدفة، بل هي نتيجة طبيعية لعدة شروط موضوعية أهمها: الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية الملائمة والتوجهات الثقافية والتربوية المناسبة

إن ما يسمى بالمحاولات السيكولوجية العربية ما تزال تتخبط في متاهات تتوزع بين مشاكل التأريخ وعوائق التأسيس وصعوبات التطبيق

إن مظاهر استهلاك النماذج السيكولوجية الغربية ومحاكاة مضامينها تشكل السمات الغالبة على المحاولات السيكولوجية العربية التي يصعب الوثوق في

ما تقدمه من حلول باسم خدمة الإنسان العربي، ومشاريع التنمية العربية

أن شروط الإبداع والإنتاج في نطاق هذا الفرع العلمي ما تزال مغيبة عندنا. فالبحث السيكولوجي كما يتداول في كلياتنا ومعاهدنا ومراكز بحوثنا، لا يتجاوز حدود بعض المبادرات الفردية الضيقة التي لا علاقة لها بالتطبيق المباشر على واقعنا المحلي

التقليدية، الى ان نستعين بمطالعة الارث العلمي لجهود اساتذتنا الاوائل من الماضي القريب لفهم الحاضر والتعلم والاستذكار لتقدير حجم المبادرة المعرفية المبذولة لانجاز مثل تلك الاعمال والتي اكدت على أهمية الاستمرارية في تعزيز الهوية كاستحقاق وجودي والا فان التماهي حد الانطماس سيؤول بالاجيال الى الضياع، وهو تحدي ينتصب امام الاختصاصيين في العلوم النفسية العربية لدق ناقوس التنبيه والتذكير والسعي للمواكبة والحداثة مع استلهام الارث الثقافي والفكري المستنير لهذه الامة المكافحة والمستهدفة تاريخيا وإعادة توطين وتقنين العلوم المعاصرة في بيئتنا التاريخية العريقة. سيجد القارئ نفسه امام عناوين اعمال تاريخية قد يكون قد تجاوز الزمن معطياتها ولكنها تعكس في حينه مدى المهنية والاستاذية في الاشارة الى الكم الهائل سواء من الخبرات الذاتية او الاجتهادات المبكرة لعملية توطين العلوم النفسية في البيئة العربية مع الاستفادة من خبرات الاخرين سواء من العالم الغربي أو العربي . إن التنوع في تقدير المنتوج العلمي وفي مستوى الاداء وتميزه باحترافية كبير لنخبة من خيرة الاساتذة الالمعية في مجال علم نفس على مستوى الوطن العربي، يمثل إسهاما ثميناً أغنى المكتبة العربية الاكاديمية بالعديد من ألاعمال التي مثلت بوصلة في قيادة دفة سفر البحث العلمي العربي وتوثيقه، والتي كان أحد روادها المتميزون على مستوى المغرب العربي العالم الجليل الاستاذ الدكتور الغالي أحرشاو.

رابط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/BR208MaanArabWorld PsyRealityExperience.pdf

****

مجلة " بصائر نفسانية"

مجلة المستجدات العربية في علوم وطب النفس

دعوة لإثراء العدد 45 ربيع - صيف 2024

الملف: "تاريخ التحليل النفسي باللغة العربية"

المشرف على الملف: د. مرسلينا حسن شعبان (مجلة نفسانية- دمشق- سوريا)

ترسل الاعمال بالتزامن الى كل من المشرف على الملف والى بريد الشركة
mar-selena@hotmail.com -arabpsynet@Gmail.com
أخر أجل لقبول الاعمال (31 جويلية 2024)

المجلة العربية " نفسانيات"

مجلة محكمة في علوم وطب النفس

دعوة لإثراء العدد 81 – ربيع 2024

الملف: المستجدات في علوم وطب النفس 2024

اشراف: د. سداد جواد التميمي (العراق / انكلترا)

MB ChB (Baghdad), MD(Wales), FRCP, FRCPI, FRCPsych
jawad.sudad@gmail.com - arabpsynet@Gmail.com

أخر أجل لقبول المشاركة بالأعمال العلمية 30 جوان 2024

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com